

قصة
سیدنا داود وسیدنا سلیمان

۸



obeikandi.com

﴿ قصة سيدنا داود ، وسيدنا سليمان عليهما السلام ﴾

ولم يقتصر القرآن على ذكر أيام الله وما لقيه الأنبياء ، والرسل من تكذيب وسخرية وإهانة ومطاردة من الأمم التي بُعثوا فيها ، وما لقيت هذه الأمم من عقوبة وعذاب وهلاك ودمار ، لتكذيبها للرسل واستهزائها بهم وكيدها لهم ، وهمّها بقتلهم ، كما مرّ بكم في قصص النبيين .

﴿ ١- القرآن يتحدث عن آلاء الله ﴾

بل تحدث القرآن كثيراً عن آلاء الله ، وحكى في بسط أحياناً وفي اختصار أحياناً عن نعم كثيرة ، أنعم بها على كثير من الأنبياء ، منهم داود وسليمان ، ومنهم أيوب ويونس ، ومنهم زكريا ويحيى .

فأما داود وسليمان فقد مكن الله لهما في الأرض ، ووسّع لهما في الملك ، ومدّ لهما في العلم ، وعلمهما كثيراً مما جهله الناس ، وسخر لهما الأقوياء والعتاة ، وما لا ينقاد من الحيوانات والجمادات ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿

[النمل: ١٥]

﴿ ٢- نعمة الله على داود ﴾

فأما داود فقد سخر الله له الجبال ، والطير تتجاوب معه في الدعاء والتسبيح وعلمه صنعة الدروع ، وألان له الحديد .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (١٦) أَنْ أَعْمَلَ

سَخِغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صِلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿سبأ: ١٠﴾ .

ويقول : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ .

[الأنبياء: ٧٩]

٣- شكره على هذه النعمة

وكان داود مع هذا الملك الواسع واليد الحاذقة القوية كان عبداً خاشعاً وأباً ، دائماً الذكر ، طويل الدعاء والتسبيح ، حاكماً مقسطاً ، يحكم بين الناس بالحق ولا يحابي ، يقول الله تعالى : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] .

٤- نعمة الله على سليمان

فأما سليمان فقد سخر الله له الرياح تجري بأمره وتحمله من مكان إلى مكان ، فيصل إليه في أقرب وقت وأسرع زمان وسخر له الأقوياء والحاذقين من الجن والماردين من الشياطين ، ينفذون أوامره ويكملون مشاريعه العمرانية والبنائية العملاقة .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعُودُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢] .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عُدُودُهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ﴾

مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَرِّبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ .

٥- فقه دقيق وعلم عميق

وقد تجلّى ذكاؤه وقدرته على الحكم الصحيح في قضية رُفعت إلى والده العظيم ، فكان لقوم كرم قد أنبتت عناقيده ، فدخلت فيه غنم لقوم فأفسدته ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذاك ؟

قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها .
وخصّه الله بفقه وعلم دقيق فقال :

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿[الأنبياء: ٧٨] .

٦- سليمان يعرف لغة الطير والحيوان

وقصّ القرآن قصة حكيمة ممتعة تجلّى فيها تيقّظ سليمان في تدبير مملكته ورهبة سلطانه ، كيف جمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة ، وبين الملك والتمكين والنبوة والرسالة في الدين ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان ، وجمع جنوده من الجن والإنس والطير ذات مرة ، وركب فيهم في أبهة وعظمة ، وكانوا على نظام كامل وكانوا في قيادة رؤسائهم ، فمرّ سليمان على وادي النمل ، فخافت نملة على قبيلتها أن تحطمها الخيول بحذافيرها ولا يشعر

بذلك سليمان ولا جنوده ، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ، ففهم ذلك سليمان ، ولم يأخذه التيه ولا الزهو بأنه نبي من أنبياء الله بل حمله ذلك على حمد الله تعالى وشكر نعمته ، والدعاء والتوفيق للعمل الصالح ، والانخراط في سلك عباد الله الصالحين .

٧- قصة هدهد

وكان الهدهد رائده وعينه يَدُّه على مواضع المياه ، ومنازل الجيش ، فلم يجده ، فأنكر ذلك وتوعده ، فغاب زماناً يسيراً ثم جاء ، فقال لسليمان : اطلّعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك وجئتُك بخبر صدق عن سبأ وملكتهم لهم ملك عظيم ، ودولة واسعة ، وقد وجدتُهم على هذا العقل والكياسة والملك والرياسة ، أصحاب سفاهة وجهالة ، وهم يسجدون للشمس من دون الله ، ولا يفقهون ذلك ، ولا يهتدون إلى عبادة الله وحده .

٨- سليمان يدعو ملكة سبأ إلى دينه

وشق على نبي الله أن يكون بجوار مملكته ملك أو أمة لا يعرفها ولم تبلغها دعوته ، ولا تزال تعبد الشمس ، واثارت فيه الحمية الدينية النبوية ، ورأى من الصواب أن يكتب إلى ملكتها وحاكمتها المشتركة ويدعوها إلى الإسلام ، والطاعة والاستسلام ، قبل أن يزحف على بلادها بجنوده القاهرة ، فكتب إليها كتاباً بليغاً ودعاها فيه إلى الإسلام والاستسلام .

والكتاب يجمع بين الرقة والصرامة وتواضع الأنبياء وغيره الملوك .

٩. الملكة تستشير أركان دولتها

فقد كان سليمان جامعًا بينهما ، وكانت المرأة التي تحكم هذه البلاد عاقلة غير متسرعة في الحكم ، عندها تجارب واسعة من سير الملوك وأخبار الفاتحين ، وإنما خانها عقلها في معرفة الإله وعبادته ، فلم تأخذها حمية الملوك ، ولم تستبدّ بالرأي ، فأطلعت أهل الرأي من أركان دولتها على هذا الكتاب الذي لم يكن كسائر الكتب ، إنه كتاب من أعظم الملوك في زمانها ومن نبي داعٍ إلى الله .

ولما بدأ أركان دولتها يدلون بقوتهم وكثرة جيوشهم إرضاءً وتملقًا ، شأن جلساء الملوك والحكام في كل زمان ومكان ، لم تقبل مقالتهم ، ولم توافقهم عليها ، بل حذرتهم من سوء العاقبة ، وذكّرتهم بسيرة الملوك الفاتحين في الأمم المفتوحة ومصيرها بعد الهزيمة والانكسار ، وقالت : سيكون هذا شأن بلادنا وأمتنا ، وقالت لهم : إنني سأرسل إلى سليمان بهدايا وطرف فأمتحنه بها ، فإن قبل الهدية فهو ملك ، فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

١٠. هدية مساومة

وبعثت إليه هدية عظيمة لائقة بالملوك ، فلما وصلت إلى سليمان أعرض عنها ، وزهد فيها وقال : أتساوموني بمال لأترككم على شرككم وملككم ، والذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه ، والأمر جدّ ليس بهزل ، والقضية قضية دعوة وطاعة ، ليست قضية مساومة ، وتوعدهم بقصد لهم وزحفه على ملكهم .

١١. الملكة تأتي خاضعة

فلما رجعت هذه « البعثة » إلى ملكة سبأ وحكت لها القصة ، سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم إليه فرح بذلك وحمد الله ، وأراد أن يريها آية من آيات الله ؛ ليكون ذلك أدل على قدرة الله ونعمه على سليمان ، فأراد أن يحضر عرشها الذي وكت به رجالاً أقوياء أمناء ، فطلب من ملئه أن يأتوه بعرشها قبل وصول هذا الموكب العظيم .

وقد تحقق ما أراد سليمان في أقرب وقت وكان معجزةً ، وأمر به سليمان فغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته ، وإن التبس عليها الأمر كان دليلاً على قصور نظرها في أمور أدق منه وأبعد منالاً .

١٢. قصر عظيم من زجاج

وأمر سليمان البنائين من الإنس والجن ، فبنوا لها قصرًا عظيمًا من زجاج ، وأجروا تحته الماء ، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبين الماء ، وكان المؤكد أن الملكة تتوهمه ماءً ، فتكشف عن ساقها ، هنالك تتبين الخطأ وتدرك قصور نظرها وانخداعها بالمظاهر ، وكانت هي وقومها يسجدون للشمس ؛ لأنها أكبر مظهر للنور والحياة التي هي من صفات الله تعالى ، وهنالك ينكشف الغطاء عن عينها ، فتعرف أنها كما أخطأت في معاملة الزجاج معاملة الماء ، فكشفت عن ساقها كذلك أخطأت في معاملة الشمس ، معاملة الخالق فسجدت لها وعبدتها ، وكان ذلك أبلغ من مائة خطبة وألف دليل .

١٣- وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

وهكذا كان ، فقد تورطت رغم دهائها وذكائها في هذا الخطأ الفاحش ، وتوهّمت الزجاجة ماءً رقيقاً يسيل ويموج ، فكشفت عن ساقها ، وأرادت أن تخوضه .

هنالك نبّهها نبي الله سليمان على خطئها ، وقال : إنه صرّح ممرد من قوارير ، وانكشف الغطاء عن عينها ، وعرفت جهلها في قياس المظهر على الظاهر ، وعبادة الشمس والسجود لها ، وابتدرت تقول : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٢٠] .

١٤- القرآن يحكي قصة سليمان

واقرؤوا هذه القصة الشائقة الممتعة في القرآن ، يقول الله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عَذْبَاءَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ، أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينُ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أذهب بكتبي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ الْكِتَابَ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَنُؤِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

قَالَتْ يَتَايَأُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِيْ أَمْرِيْ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأُولُوْا بَأْسٍ شَدِيْدٍ وَالْأَمْرُ لِيَّاكَ فَانْظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنْ قَالَ أَتُمِدُّوْنَ بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِءِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآءِ اتْنِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴿٣٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٨﴾ قَالِ يَتَايَأُهَا الْمَلَأُ أَتِيَنِيْ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِيْ مُسْلِمِينَ ﴿٣٩﴾ قَالِ عِيفْرِتُ مِنْ إِلَٰهِنَ أَنَا ٱلْأَنِىءُ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٠﴾ قَالِ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَآبِ أَنَا ٱلْأَنِىءُ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيْ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيْ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾ قَالِ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْهَدِيْ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُوْنَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا ٱلْعِلْمُ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالِ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِيْ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [النمل: ٢٠].

وهذا نبي الله سليمان وقد رأيتم مواقفه في الدعوة إلى الله وإلى التوحيد ،
وحكمته وفقهه وغيرته على دينه وعقيدته .

﴿ ١٥ ﴾ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴿ ١٥ ﴾

نسب إليه اليهود ما لا يليق بمؤمن موحد شرح الله صدره للإيمان ، فضلاً
عن نبي مرسل آتاه الله الحكمة ، وأكرمه بالنبوة ، وشرّفه بالخلافة ، فنسبوا
إليه السحر والكفر والمداهنة للشرك ، والاضطراب في أمر التوحيد بسبب
أزواجه ، فبرّاه الله من كل ذلك فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

وقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

وقال : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ [ص: ٤٠].
